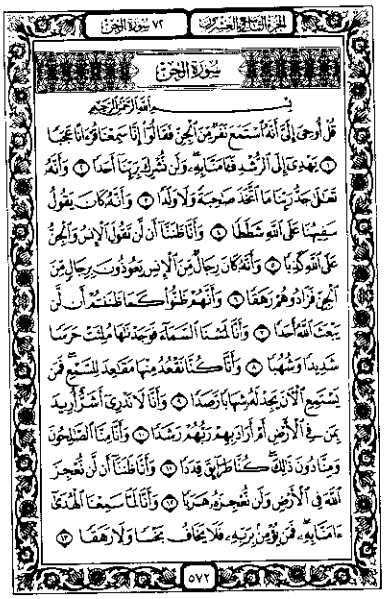

سورة الجن

بسم الله الرحمن الرحيم

قُلْ أُوحِيَ إِلَيَّ أَنَّهُ اسْتَمَعَ نَفَرٌ مِنَ الْجِنِّ فَقَالُوا إِنَّا سَمِعْنَا قُرْآنًا عَجَبًا
﴿١﴾ يَهْدِي إِلَى الرُّشْدِ فَآمَنَّا بِهِ وَلَنْ نُشْرِكَ بِرَبِّنَا أَحَدًا ﴿٢﴾ وَأَنَّهُ
تَعَالَى جَدُّ رَبِّنَا مَا اتَّخَذَ صَاحِبَةً وَلَا وَلَدًا ﴿٣﴾ وَأَنَّهُ كَانَ يَقُولُ
سَفِيهُنَا عَلَى اللَّهِ شَطَطًا ﴿٤﴾ وَأَنَّا ظَنَنَّا أَنْ لَنْ تَقُولَ الْإِنْسُ وَالْجِنُّ
عَلَى اللَّهِ كَذِبًا ﴿٥﴾ وَأَنَّهُ كَانَ رِجَالٌ مِنَ الْإِنْسِ يَعُوذُونَ بِرِجَالٍ مِنَ
الْجِنِّ فَزَادُوهُمْ رَهَقًا ﴿٦﴾ وَأَنَّهُمْ ظَنُّوا كَمَا ظَنَنْتُمْ أَنْ لَنْ
يَبْعَثَ اللَّهُ أَحَدًا ﴿٧﴾ وَأَنَّا لَمَسْنَا السَّمَاءَ فَوَجَدْنَاهَا مُلِئَتْ حَرَسًا
شَدِيدًا وَشُهُبًا ﴿٨﴾ وَأَنَّا كُنَّا نَقْعُدُ مِنْهَا مَقَاعِدَ لِلسَّمْعِ فَمَنْ
يَسْتَمِعِ الْآنَ يَجِدْ لَهُ شِهَابًا رَصَدًا ﴿٩﴾ وَأَنَّا لَا نَدْرِي أَشَرٌّ أُرِيدَ
بِمَنْ فِي الْأَرْضِ أَمْ أَرَادَ بِهِمْ رَبُّهُمْ رَشَدًا ﴿١٠﴾ وَأَنَّا مِنَّا الصَّالِحُونَ
وَمِنَّا دُونَ ذَلِكَ كُنَّا طَرَائِقَ قِدَدًا ﴿١١﴾ وَأَنَّا ظَنَنَّا أَنْ لَنْ نُعْجِزَ
اللَّهَ فِي الْأَرْضِ وَلَنْ نُعْجِزَهُ هَرَبًا ﴿١٢﴾ وَأَنَّا لَمَّا سَمِعْنَا الْهُدَى
آمَنَّا بِهِ فَمَنْ يُؤْمِنْ بِرَبِّهِ فَلَا يَخَافُ بَخْسًا وَلَا رَهَقًا ﴿١٣﴾

رصدا﴾ أي: مرصداً له، معداً لإتلافه وإحراقه أي: وهذا له شأن عظيم، ونبأ جسيم، وجزموا أن الله تعالى أراد أن يحدث في الأرض حادثاً كبيراً، من خير أو شر، فلهذا قالوا: **﴿وأنا لا ندري أشرّ أريد بمن في الأرض أم أراد بهم ربهم رشدا﴾** أي: لا بد من هذا أو هذا، لأنهم رأوا الأمر تغير عليهم تغيراً أنكروه، فعرفوا بفطنتهم، أن هذا الأمر يريده الله، ويحدثه في الأرض، وفي هذا بيان لأدبهم، إذ أضافوا الخير إلى الله تعالى، والشر حذفوا فاعله تأدباً مع الله.

﴿وأنا منا الصالحون ومنا دون ذلك﴾ أي: فساق وفجار وكفار، **﴿كنا طرائق قددا﴾** أي: فرقاً متنوعة، وأهواء متفرقة، كل حزب بما لديهم فرحون.

﴿وأنا ظننا أن لن نعجز الله في الأرض ولن نعجزه هربا﴾ أي: وأنا في وقتنا الآن تبين لنا كمال قدرة الله وكمال عجزنا، وأن نواصينا بيد الله، فلن نعجزه في الأرض ولن نعجزه إن هربنا وسعينا بأسباب الفرار والخروج عن قدرته، لا ملجأ منه إلا إليه، **﴿وأنا لما سمعنا الهدى﴾** وهو القرآن الكريم، الهادي إلى الصراط المستقيم، وعرفنا هدايته وإرشاده، أثّر في قلوبنا فـ **﴿آمنا به﴾**.

ثم ذكروا ما يرغب المؤمن فقالوا: **﴿فمن يؤمن بربه﴾** إيماناً صادقاً **﴿فلا يخاف بخساً ولا رهقاً﴾** أي: لا نقصاً ولا طغياناً ولا أذى يلحقه[١]، وإذا سلم من الشر حصل له الخير، فالإيمان سبب داع إلى حصول كل خير وانتفاء كل شر.

﴿وأنا منا المسلمون ومنا القاسطون﴾ أي: الجائرون، العادلون عن الصراط المستقيم.

﴿فمن أسلم فأولئك تحروا رشدا﴾ أي: أصابوا طريق الرشد، الموصل لهم إلى الجنة ونعيمها، **﴿وأما القاسطون فكانوا لجهنم حطبا﴾** وذلك جزاء على أعمالهم، لا ظلم من الله لهم، فإنهم **﴿لو استقاموا على الطريقة﴾** المثلى **﴿لأسقيناهم ماء غدقاً﴾** أي: هنيئاً مريئاً، ولم يمنعهم ذلك إلا ظلمهم وعدوانهم. **﴿لنفتنهم فيه﴾** أي: لنختبرهم فيه ونمتحنهم، ليظهر الصادق من الكاذب.

﴿ومن يعرض عن ذكر ربه يسلكه عذاباً صعدا﴾ أي: من أعرض عن ذكر الله، الذي هو كتابه، فلم يتبعه وينقد له، بل غفل عنه ولهي، يسلكه عذاباً صعداً أي: شديداً بليغاً.

﴿وأن المساجد لله فلا تدعوا مع الله أحداً﴾ أي: لا دعاء عبادة، ولا دعاء مسألة، فإن المساجد التي هي أعظم محالّ العبادة، مبنية على الإخلاص لله، والخضوع لعظمته، والاستكانة لعزته، **﴿وأنه لما قام عبد الله يدعوه﴾** أي: يسأله ويتعبد له ويقرأ القرآن كاد الجن من تكاثرهم عليه أن يكونوا عليه لبدا أي: متلبدين متراكمين، حرصاً على سماع ما جاء به من الهدى.

﴿قل﴾ لهم يا أيها الرسول، مبيناً حقيقة ما تدعو إليه:

﴿إنما أدعو ربي ولا أشرك به أحداً﴾ أي: أوحده وحده لا شريك له، وأخلع ما دونه من الأنداد والأوثان، وكل ما يتخذه المشركون من دونه.

﴿قل إني لا أملك لكم ضراً ولا رشداً﴾ فإني عبد ليس لي من الأمر ولا من التصرف شيء.

﴿٢٢﴾ ﴿قل إني لن يجيرني من الله أحد﴾ أي: لا أحد أستجير به ينقذني من عذاب الله، وإذا كان الرسول الذي هو أكمل الخلق، لا يملك ضراً ولا رشداً، ولا يمنع نفسه من الله [شيئاً] إن أراده بسوء، فغيره من الخلق من باب أولى وأحرى، **﴿ولن أجد من دونه ملتحداً﴾** أي: ملجأ ومنتصراً **﴿إلا بلاغاً من الله ورسالاته﴾** أي: ليس لي مزية على الناس، إلا أن الله خصني بإبلاغ رسالاته ودعوة الخلق إلى الله، وبهذا[٢] تقوم الحجة على الناس.

﴿ومن يعص الله ورسوله فإن له نار جهنم خالدين فيها أبداً﴾ وهذا المراد به المعصية الكفرية، كما قيدتها النصوص الأخر المحكمة.

وأما مجرد المعصية، فإنه لا يوجب الخلود في النار، كما دلت على ذلك آيات القرآن، والأحاديث عن النبي ﷺ، وأجمع عليه سلف الأمة وأئمة هذه الأمة.

﴿حتى إذا رأوا ما يوعدون﴾ أي: شاهدوه عياناً، وجزموا أنه واقع بهم، **﴿فسيعلمون﴾** في ذلك الوقت حقيقة المعرفة **﴿من أضعف ناصراً وأقل عدداً﴾** حين لا ينصرهم غيرهم ولا أنفسهم ينتصرون، وإذ يحشرون فرادى كما خلقوا أول مرة، **﴿قل﴾** لهم إن سألوك [فقالوا] «متى هذا الوعد»؟: **﴿إن أدري أقريب ما توعدون أم يجعل له ربي أمداً﴾** أي: غاية طويلة، فعلم ذلك عند الله، **﴿عالم الغيب فلا يظهر على غيبه أحداً﴾** من الخلق، بل انفرد بعلم الضمائر والأسرار والغيب، **﴿إلا**

---

(١) في ب: فقالوا: ﴿فمن يؤمن بربه فلا يخاف بخساً ولا رهقاً﴾ أي: من آمن به إيماناً صادقاً فلا عليه نقص ولا أذى يلحقه.

(٢) في ب: ودعوة خلقه إليه وبذلك.

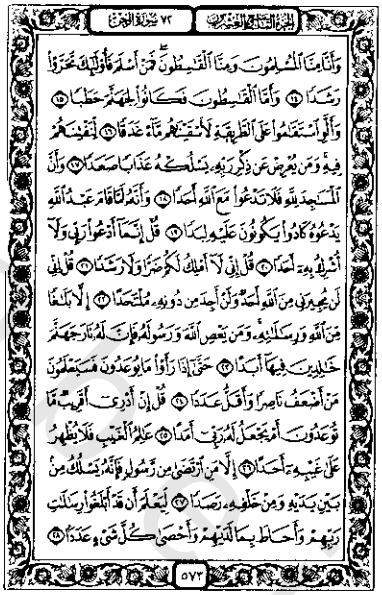

من ارتضى من رسول﴾ أي: فإنه يخبره بما اقتضت حكمته أن يخبره به، وذلك لأن الرسل ليسوا كغيرهم، فإن الله أيدهم بتأييد ما أيده أحداً من الخلق، وحفظ ما أوحاه إليهم حتى يبلغوه على حقيقته، من غير أن تتخبطهم الشياطين، ولا(١) يزيدوا فيه أو ينقصوا، ولهذا قال: **﴿فإنه يسلك من بين يديه ومن خلفه رصدا﴾** أي: يحفظونه بأمر الله؛ **﴿ليعلم﴾** بذلك **﴿أن قد أبلغوا رسالات ربهم﴾** بما جعله لهم من الأسباب، **﴿وأحاط بما لديهم﴾** أي: بما عندهم، وما أسروه وأعلنوه، **﴿وأحصى كل شيء عددا﴾**.

وفي هذه السورة فوائد كثيرة:

منها: وجود الجن، وأنهم مكلفون مأمورون مكلفون منهيون، مجازون بأعمالهم، كما هو صريح في هذه السورة.

ومنها: أن رسول الله ﷺ رسولٌ إلى الجن، كما هو رسول إلى الإنس(٢)، فإن الله صرف نفر الجن ليستمعوا ما يوحى إليه ويبلغوا قومهم.

ومنها: ذكاء الجن ومعرفتهم بالحق، وأن الذي ساقهم إلى الإيمان هو ما تحققوه من هداية القرآن، وحسن أدبهم في خطابهم.

ومنها: اعتناء الله برسوله، وحفظه لما جاء به، فحين ابتدأت بشائر نبوته، والسماء محروسة بالنجوم، والشياطين قد هربت عن أماكنها، وأزعجت عن مراصدها، وأن الله رحم به الأرض وأهلها رحمة ما يقدر لها قدر، وأراد بهم ربهم رشدا، فأراد أن يظهر من دينه وشرعه ومعرفته في الأرض، ما تبتهج له القلوب، وتفرح به أولو الألباب، وتظهر به شعائر الإسلام، وينقمع به أهل الأوثان والأصنام.

ومنها: شدة حرص الجن لاستماع الرسول ﷺ، وتراكمهم عليه.

ومنها: أن هذه السورة، قد اشتملت على الأمر بالتوحيد والنهي عن الشرك، وبينت حالة الخلق، وأن كل أحد منهم لا يستحق من العبادة مثقال ذرة، لأن الرسول محمداً ﷺ، إذا كان لا يملك لأحد نفعاً ولا ضراً، بل ولا يملك لنفسه، علم أن الخلق كلهم كذلك، فمن الخطأ والغلط(٣) اتخاذ من هذا وصفه إلهاً [آخر] مع الله.

ومنها: أن علوم الغيب قد انفرد الله بعلمها، فلا يعلمها أحد من الخلق، إلا من ارتضاه الله وخصه(٤) بعلم شيء منها.

تم تفسير سورة قل أوحي إلي، ولله الحمد(٥)

تفسير سورة المزمل [وهي] مكية

﴿١ ـ ١١﴾ ﴿بسم الله الرحمن الرحيم يا أيها المزمل * قم الليل إلا قليلاً * نصفه أو انقص منه قليلاً * أو زد عليه ورتل القرآن ترتيلاً * إنا سنلقي عليك قولاً ثقيلاً * إن ناشئة الليل هي أشد وطئاً وأقوم قيلاً * إن لك في النهار سبحاً طويلا * واذكر اسم ربك وتبتل إليه تبتيلاً * رب المشرق والمغرب لا إله إلا هو فاتخذه وكيلاً * واصبر على ما يقولون واهجرهم هجراً جميلاً * وذرني والمكذبين أولي النعمة ومهلهم قليلا﴾

المزمل: المتغطي بثيابه كالمدثر، وهذا

الجزء التاسع والعشرون ٧٢ سورة الجن

وأنا منا المسلمون ومنا القاسطون فمن أسلم فأولئك تحروا رشدا ﴿١٤﴾ وأما القاسطون فكانوا لجهنم حطبا ﴿١٥﴾ وألو استقاموا على الطريقة لأسقيناهم ماء غدقا ﴿١٦﴾ لنفتنهم فيه ومن يعرض عن ذكر ربه يسلكه عذابا صعدا ﴿١٧﴾ وأن المساجد لله فلا تدعوا مع الله أحدا ﴿١٨﴾ وأنه لما قام عبد الله يدعوه كادوا يكونون عليه لبدا ﴿١٩﴾ قل إنما أدعو ربي ولا أشرك به أحدا ﴿٢٠﴾ قل إني لا أملك لكم ضرا ولا رشدا ﴿٢١﴾ قل إني لن يجيرني من الله أحد ولن أجد من دونه ملتحدا ﴿٢٢﴾ إلا بلاغا من الله ورسالاته ومن يعص الله ورسوله فإن له نار جهنم خالدين فيها أبدا ﴿٢٣﴾ حتى إذا رأوا ما يوعدون فسيعلمون من أضعف ناصرا وأقل عددا ﴿٢٤﴾ قل إن أدري أقريب ما توعدون أم يجعل له ربي أمدا ﴿٢٥﴾ عالم الغيب فلا يظهر على غيبه أحدا ﴿٢٦﴾ إلا من ارتضى من رسول فإنه يسلك من بين يديه ومن خلفه رصدا ﴿٢٧﴾ ليعلم أن قد أبلغوا رسالات ربهم وأحاط بما لديهم وأحصى كل شيء عددا ﴿٢٨﴾

٥٧٣

الوصف حصل من رسول الله ﷺ حين أكرمه الله برسالته، وابتدأه بإنزال [وحيه بإرسال] جبريل إليه، فرأى أمراً لم ير مثله، ولا يقدر على الثبات له إلا المرسلون، فاعتراه في ابتداء ذلك(٦) انزعاج حين رأى جبريل عليه السلام، فأتى إلى أهله، فقال: «زملوني زملوني» وهو ترعد فرائصه، ثم جاءه جبريل، فقال: «اقرأ»، فقال: «ما أنا بقارىء»، فغطه حتى بلغ منه الجهد، وهو يعالجه على القراءة، فقرأ ﷺ، ثم ألقى الله عليه الثبات، وتابع عليه الوحي، حتى بلغ مبلغاً ما بلغه أحد من المرسلين.

فسبحان الله، ما أعظم التفاوت بين ابتداء نبوته ونهايتها، ولهذا خاطبه الله بهذا الوصف الذي وجد منه في أول أمره.

فأمره هنا بالعبادات المتعلقة به، ثم أمره بالصبر على أذية أعدائه(٧)، ثم أمره بالصدع بأمره، وإعلان دعوتهم إلى الله، فأمره هنا بأشرف العبادات، وهي الصلاة، وبآكد الأوقات

(١) في ب: من غير أن تقر به الشياطين فلا.
(٢) في ب: مبعوث إلى الجن كما هو مبعوث إلى الإنس.
(٣) في ب: من الخطأ والظلم.
(٤) في ب: واختصه.
(٥) في ب: تم تفسيرها والحمد لله رب العالمين.
(٦) في ب: فاعتراه عند ذلك.
(٧) في ب: على أذية قومه.